

الالتزام في الأدب الإسلامي

1-تعريف الالتزام:

الالتزام إذن عمل، يبدأ بالنية الصادقة، و العزم الذي لا يتزعزع، و ينطلق من ممارسات واقعية في مختلف جنبات الحياة، إنه وئام بين الإنسان و نفسه، وبينه و بين الآخرين، و هو يضم تحت جناحيه قيم الحياة الإسلامية و قوانينها و أحكامها، و تصورات المؤمن لما يحيط به من كون و سنن، و حيوان و جماد و نبات، و يمتد ذلك التصور لربط الحياة الدنيا بالآخرة.

إن الالتزام بالضوابط ليس تقييدا لحرية الأدب، وإنما هو توجيه لمشاعره وأحاسيسه وأدبه وفنه كي يكون إنتاجه إسهاما في بناء الأمة لا هدمها، والأديب...

إن وجود «اصطلاح «جديد، لا يعني أن» المعنى «الذي وضع له هذا المصطلح جديد أيضاً، بل ربما كان قديماً ومتعارفاً عليه، ولكن الحاجة لم تدع إلى تسميته وترقيمه.

وهذا هو شأن» الالتزام «كمفهوم إسلامي، إنه موجود واضح المعالم والسّمات، يأخذ مكانته وأبعاده في المنهج الإسلامي، سواء أكان ذلك في إطار التصور أم في إطار التطبيق.

وحيثما نصف الفنان المسلم - الآن - بأنه» ملتزم «فإننا نفعل ذلك من باب البيان والإيضاح ورفع اللبس، وإلا فلكلمة» الإسلام «تعني في جملة ما تعنيه الالتزام.

وعلى هذا فالالتزام الذي نتحدث عنه، ليس مذهبا أدبيا أو فنياً يتبناه الفنان أو الأديب، أو يتنكبه إلى غيره...؟! وحسب..

إنه سمة تقوم في ذات الإنسان، لا يستطيع الانفكاك منها، بل إنه لا يريد ذلك، ويحرص الحرص كله على المحافظة عليها.. فهي تفكيره وسلوكه وتصوره. فالالتزام هو تمثل الإسلام وتطبيقه.

والإسلام، إسلام في التصور والاعتقاد والسلوك والإنتاج والتعبير، إنه تلك الروح المنبثة في كل ذرة من كيان الإنسان، فإذا هي الإنسان ذاته.. وهذا هو الالتزام.

وعلى هذا فالالتزام ليس شيئا خارجيا يملى بعامل الإكراه والقهر، وإنما هو سجية مكتسبة، تأخذ مكانها من النفس، ويصبح لها من الأصالة والرسوخ ما للسجاي الفطرية، بل هي أرسخ وأقوى لأن وجودها نابع من فكر

واعتقاد، وهكذا لا يصدر عن الإنسان - والحالة هذه - إلا ما كان متوافقاً مع ذلك الفكر وذلك الاعتقاد وما ينبثق عنهما من تصور.

2- الالتزام والحرية:

قد يظن بعضهم أن الحرية تفقد وجودها في ظل الالتزام، ذلك أن الالتزام قيد!!

والذي يدفع إلى هذا الظن، إنما هو النظرة السطحية التي تطل من خارج نفس الفنان، لا من داخلها.

إن الفنان المسلم في حرية كاملة، تأخذ أبعادها في مشاعره وتصورات، كما تأخذها - أيضاً - في حياته العملية وفي تطبيقاته. ذلك أنه قد طرح من حسابه ما وراء القيد الذي يفرضه الإسلام - إذ الإسلام حرية القيد لا حرية الحرية -، طرحه من حساب فكره، وحساب عمله، فأصبح في زاوية الإهمال أو في زاوية السلب، كما تقول لغة الرياضيات، ولعلنا بالمثل نكون أكثر وضوحاً:

إن الخمر محرمة في الإسلام، فالفنان المسلم - وكل مسلم - يخرج الخمر من حياته.. فلا يعود لها وجود فيها، ولذلك لا يشعر أن حريته قد تأثرت بمنع الاقتراب منها.. وكذلك جميع الممنوعات الأخرى.. وإذا بقي لها من وجود، فهو وجود الشر الذي يحذر ويتعد عنه بدافع القناعة الكاملة، والحرية الكاملة، لا بل بما هو أكبر من دافع الحرية، ألا إنه دافع الحفاظ على الحياة

3- الالتزام والشكل:

وقد يظن بعضهم، أن من لوازم «الالتزام» الإبقاء على أشكال معينة يخرج الفن من خلالها، وبهذا يجمد ويتحجر، ويفقد جاذبيته وينزوي بعيداً عن التجديد..

ولا شك أن الفن شكل ومضمون، أو ظاهر وباطن، وإذا كان الالتزام يحدد المضمون والباطن، فهل يتناول الشكل والظاهر؟

مما لا شك فيه أن للشكل قيمة كبيرة - كما هو معلوم - [4] وأنه في بعض الأحيان - بل في كثير من الأحيان - يرتبط بالمضمون، فيؤثر فيه ويتأثر به، وتكون بينهما علاقة تبادلية تجعل من الصعوبة بمكان فك الارتباط بينهما، ومعالجة كل منهما على انفراد - كما يقول الدكتور عماد الدين خليل

قال د. علي علي مصطفى: ذهب الكثير من النقاد العرب والمستشرقين في قضية الالتزام إلى اتجاهين:

1- أن الأدب الجيد هو الذي لا يلتزم فيه الأديب بشيء من واقع عصره، ولا يرتبط بمشاكله وقضاياه، بل يعبر عن ذاته ومشاعره، متجردًا عما يدور في الحياة.. ومن هنا

نشأت المذاهب الأدبية الغربية الحديثة كالرومانسية والسيريالية والبرناسية. ومذهب الفن للفن.. فهذه المذاهب تجردت من معالجة المشاكل في الواقع وعزلت الشعراء عن الحياة والناس، وحينئذ يكون الأدب حرًا وليس مقيدًا ولا ملتزمًا.

2- إن الأدب ينبغي أن يكون ملتزمًا وليس متحررًا..

المراجع:

1- نظرية الأدب الإسلامي. بحث مقدم إلى ندوة الأدب الإسلامي التي أقيمت في الرياض عام 1404 هـ ص 22.]

2- انظر «الفن العربي الإسلامي» د. عفيف بهنسي. دار الفكر ط 1 ص 96.